



بفداد

في مذ كرات الرحالة الفرنسيين
بين القرنين (١٧ — ٢٠) الميلاديين

محفوظة
جميع الحقوق

All Rights Reserved

الطبعة الأولى

١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٧ م



دار المناهج للنشر والتوزيع

عمان - الأردن - شارع الملك حسين

بناية الشركة المتحدة للتأمين

هاتف ٤٦٥٠٦٢٤ فاكس ٤٦٥٠٦٢٤ (٠٠٩٦٢٦)
ص.ب - ٢١٥٣٠٨ عمان ١١١٢٢ الأردن

Dar Al-Manahej

Publishers & Distributors

Amman-King Hussein Str.

Telefax: 00962 6 4650624

P.O.Box: 215308 Amman 11122 Jordan

E-mail : manahej9@hotmail.com

: fayizmosa@yahoo.com

استناداً إلى قرار مجلس الإفتاء رقم ٢٠٠١/٣ بتحريم نسخ الكتب وبيعها دون إذن المؤلف والناشر
وعملاً بالأحكام العامة لحماية حقوق الملكية الفكرية فإنه لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو
تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله أو استنساخه بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي
مسبق من الناشر.

بفداد

في مذكرات الرحالة الفرنسيين
بين القرنين (١٧ - ٢٠) الميلاديين

ترجمة وتعليق

وليد كاصد الزيدي

ماجستير في الدراسات السياسية والدولية
مترجم لغة فرنسية

٢٠٠٧م



دار المناهج للنشر والتوزيع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المملكة الأردنية الهاشمية

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبات والوثائق الوطنية

٢٠٠٦/٧/١٧٥٣

٩٥٦,٣

الزبيدي، وليد

بغداد في مذكرات الرحالة الفرنسيين بين القرنين (١٧-٢٠) الميلاديين / وليد
كامل الزبيدي.

عمان: دار المناهج، ٢٠٠٦

() ص

ر.إ: (٢٠٠٦/٧/١٧٥٣).

الواصفات: / بغداد / تاريخ العراق / المذكرات / التراجم /

* تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

٢٠٠٦/٦/١٧٥٠

رقم الإجازة المتسلسل لدى دائرة المطبوعات والنشر

(ردمك) ISBN 9957-18-130-0

المحتويات

٧	مقدمة المترجم.....
---	--------------------

الفصل الأول

رحلات في القرنين السابع عشر والثامن عشر

١٣	الرحلة الأولى: أخبار رحلة دي تيفينوت إلى المشرق عام ١٦٦٤م.....
٢٣	الرحلة الثانية : مذكرات رحلة جان أوتير إلى تركيا وبلاد فارس مع أخبار رحلات طهماز كوي خان " فصل عن بغداد " ١٧٣٩م.....
٣١	الرحلة الثالثة: رحلات الكومت فيريير - سوفبوف إلى تركيا وبلاد فارس وبلاد العرب، تاريخية ، وسياسية، وجغرافية ١٧٨٢-١٧٨٩م.....

الفصل الثاني

فصل من كتاب بغداد

(سكة حديدها . أهميتها، ومستقبلها) للرحالة إميل أوبليه ١٩١٦م

٣٧	أولاً : مدينة بغداد.....
٤١	١- السكان.....
٤٢	٢- الأزياء.....
٤٣	٣- الآثار.....
٤٤	٤- المساجد والآثار الأخرى.....
٤٧	٥- الجاليات والقنصليات.....
٥٠	٦- المناخ
٥٣	ثانياً : ولاية بغداد
٥٤	١- الأنهار.....
٥٧	٢- المناخ.....

٥٩	٣- حبة حلب
٦٠	٤- المحاصيل
٦٣	٥- السكان
٦٤	٦- الديانات
٦٥	٧- اللغات
٦٦	٨- التعليم
٦٦	٩- المدارس
٧١	١٠- الأخلاق
٧١	١١- الصناعة
٧٣	١٢- التجارة
٧٧	١٣- الحيوانات
٨٥	١٤- الطيور
٨٧	١٥- الأسماك
٨٩	١٦- الحشرات
٩٠	١٧- مناجم الفحم
٩٢	١٨- مناجم الملح
٩٢	ثالثاً: ولاية بغداد والتجارة الفرنسية مع سوريا

الفصل الثالث

سلسلة رحلات أيام زمان واليوم

موضوعات من كتاب " رحلة إلى بغداد "

للمرحالة موريس هونوريه ١٩٢٩م

١٠٩	مقدمة المؤلف
١١١	نحو مدينة الخلفاء
١٢٢	بغداد
١٣٢	الأراضي السهلية حيث تقع بابل
١٣٧	إلى قصر الملك الكبير

مقدمة المترجم

لا يخفى على أحد أن هناك كثيراً من الأحداث والوقائع التاريخية التي مر بها العراق بعامة ومدينة بغداد بخاصة، لم يكشف عنها النقاب ولم تزل في طي المجهول حتى يومنا هذا، ولعل سبب ذلك يعود إلى ندرة التدوين التاريخي في القرون الماضية وإلى كثرة الغزوات والهجمات التي استهدفت تلك المدينة، فدمرت وأحرقت مكتباتها وما احتوته من كتب ثمينة ونفيسة، ولاسيما إبان الغزو المغولي لها بإمرة هولاكو عام ١٢٥٨م، فضلاً عما تعرض له عدد كبير من المدونات التاريخية من التحريف والتشويه للوقائع والأحداث والشخصيات.

إن تاريخ بغداد يكتسب أهمية بالغة بوصفها إحدى أهم الحواضر العربية في التاريخ القديم والحديث، ولاسيما أنها كانت عاصمة الخلافة العباسية فضلاً عن شهرتها العالمية بوصفها (مدينة ألف ليلة وليلة)، في حين ما ترجم عن تاريخ هذه المدينة ومدن العراق الأخرى باللغات الأجنبية وتحديداً

الفرنسية شحيح^١. ونظراً لأن دراسة التاريخ واستلهاً دروسه وعبره يعد ركناً أساسياً تستند إليه الأمم الحية في استعادة نهضتها وأمجادها فقد عمدت إلى ترجمة موضوعات مختارة عن مدينة بغداد، وردت في مذكرات وكتب تناولت تاريخ العراق بشكل عام، ولعل هذه الأسباب هي التي دفعتني لترجمة هذه الفصول من كتب ومذكرات وضعها عدد من المؤرخين والرحالة الفرنسيين.

لقد وصف هؤلاء مدينة بغداد وصفاً دقيقاً من حيث التطرق للأحداث والوقائع التاريخية التي مرت بها المدينة في فترات هامة من تاريخها الحديث وذلك بدءاً من القرن السابع عشر وحتى مطلع القرن العشرين بعد أن مروا بها وأقاموا فيها لفترات مختلفة، فقدموا وصفاً لتركيبية سكانها وأزيائهم والطبيعة الطبوغرافية للمدينة ومناخها

(١) كتب عن تاريخ العراق كثير من الفرنسيين، ولكن لندرة ما ترجم منه إلى العربية يعطي صورة لدى الباحثين والمؤلفين والقراء بأن الفرنسيين لم يهتموا بالكتابة عن العراق، وهذا ما أشار له الأستاذ الدكتور سيار الجميل عندما قال: ((ومن الجدير بالذكر، أن المدرسة التاريخية الفرنسية قد غاب عنها تاريخ العراق الحديث بجملة تكويناته، في حين اهتمت كثيراً ببلاد الشام وبلدان المغرب العربي. لمزيد من التفاصيل، انظر: د. سيار الجميل، زعماء وأفندية، الباشوات العثمانيون والنهضويون العرب، ط ١، الأهلية للنشر عمان، ١٩٩٩، ص ص ١٨٤-١٨٥. (المترجم)

ومواردها المائية وطبيعتها وثرواتها وزراعتها وصناعاتها وأسواقها وغير ذلك، فضلاً عن الصراعات التي جرت على أرضها ومن حولها وقد طالت الحرث والنسل وروعت أهلها على مر السنين التي تجعلنا نردد بأن النعم والثروات والخيرات التي حبا الله بها أرض السواد قد ابتليت من جرائها بأحداث جسام فتكالب عليها الغزاة الطامعين من كل حذب وصوب، ولم تنقطع غزواتهم وأطماعهم حتى يومنا هذا.

إن قيمة هذا الكتاب من الناحية التاريخية تكمن في أن من كتب فصوله من الفرنسيين، هم من المحايدون الذين لا مصلحة لهم ولا غاية في تشويه الحقائق أو تزييفها، ولعل ذلك يوفر لمن يريد أن يطلع على تاريخ بغداد وقائع وأحداث جديدة قد تثري المعرفة وترفع الباحث والقارئ على حد سواء.

ومن الجدير بالذكر أن من النادر أن نجد من يؤرخ لتلك المرحلة من تاريخ بغداد من العراقيين، في حين انبرى للتأليف والكتابة عن تاريخ مدن العراق ومنها مدينة بغداد، عدد من الأجانب لعل من بين أكثرهم شهرة "المستر ستيفن لونكريك" المفتش الإداري في الحكومة العراقية إبان الاحتلال البريطاني للعراق، في كتابه "أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث" الذي نقله إلى العربية جعفر الخياط عام ١٩٤١م فأصبح من أهم المراجع التي تتحدث عن تاريخ العراق الحديث.

لقد أكد لونكريك ندرة ما كتب عن تلك الفترة الزمنية الهامة من تاريخ العراق الحديث بقوله: ((لم يكتب عن تاريخ العراق منذ أوائل القرن السادس عشر إلى نهاية القرن التاسع عشر من قبل باللغة الإنكليزية ولا باللغات الأوربية الأخرى الذي ينبغي أن يحظى بعناية تليق بمهد حضارة الإنسان وبمركز يعد من أقدم مراكز الإمبراطوريات القديمة، وبأصقاع مربها كبار القادة من الإغريق والرومان وبمشهد مجد الإسلام ومفاخره في زمن العباسيين))^١.

إن الآراء التي أوردها المؤرخون الفرنسيون في هذا الكتاب نقلت حرفياً إلى العربية دون المساس بجوهرها وقيمتها التاريخية، ذلك أن ترجمة المدونات التاريخية تتطلب دقة بالغة وأمانة علمية تدعو إلى عدم تجاوز حرفية الترجمة في أغلب الأحيان، وقد علقت في هوامش فصول الكتاب، على عدد من الآراء والأفكار التي وردت في

^١ ستيفن هيمسلي لونكريك ، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، ترجمة جعفر الخياط ، ط ٣ ، مطبعة البرهان ، بغداد ، ١٩٦٢ .

مذكرات هؤلاء المؤلفون (الرحالة)، نتيجة لعدم استيعابهم وفهمهم لتقاليد وأعراف أهل هذه المدينة العريقة.

لقد تضمن الفصل الأول من الكتاب ثلاث رحلات وقعت في القرنين السابع عشر والثامن عشر، أولاهما كانت " رحلة دي تيفينوت إلى المشرق عام ١٦٦٤م " المنشورة في باريس عام ١٦٦٥م، وثانيهما : مذكرات رحلة جان أوتير إلى تركيا وبلاد فارس مع أخبار رحلات طهماز كوي خان " فصل عن بغداد " عام ١٧٣٩م المنشورة في باريس عام ١٧٤٨م، وثالثهما : مذكرات رحلات الكومت فيريير - سوفبوف إلى تركيا وبلاد فارس وبلاد العرب، تاريخية، وسياسية، وجغرافية (١٧٨٢-١٧٨٩) المنشورة في باريس عام ١٧٩٠م.

أما الفصل الثاني فقد تضمن موضوعات منتقاة من مذكرات الرحالة الفرنسي إميل أوبليه في كتابه (بغداد، سكة حديد، أهميتها، ومستقبلها) عام ١٩١٦م المنشورة في باريس عام ١٩١٧م، الذي تضمن موضوعه الأول وصفا لمدينة بغداد من حيث: السكان، والأزياء، والآثار، والمساجد والآثار الأخرى، والجاليات والقنصليات، والمناخ، في حين تناول الموضوع الثاني وصفا لولاية بغداد من حيث : (الأنهار، والمناخ، وحبّة حلب، والمحاصيل، والسكان، والديانات، واللغات، والتعليم، والمدارس، والأخلاق، والصناعة، والتجارة، والحيوانات، والطيور، والأسماك، والحشرات، ومناجم الفحم، ومناجم الملح). أما الموضوع الثالث فقد تطرق إلى ولاية بغداد والتجارة الفرنسية مع سوريا.

في حين تناول الفصل الثالث موضوعات من مذكرات الرحالة الفرنسي موريس هونوريه مترجمة عن كتابه (رحلة إلى بغداد) المنشور في باريس عام ١٩٢٩م. والذي تضمن موضوعات حملت عناوين : (نحو مدينة الخلفاء، وبغداد، والأراضي السهلية حيث تقع بابل، وإلى قصر الملك الكبير) .

ولعل ما ورد في هذه الترجمة من معلومات تعبر عن مشاهدات وآراء الكتاب والرحالة الفرنسيين فحسب، في حين علقت على عدد من الآراء والأفكار والمفاهيم والتصورات الخاطئة التي أوردها الكتاب والرحالة الفرنسيين، وقد وجدت في ترجمة هذه المؤلفات بعض الصعوبة ولاسيما في الترجمة عن اللغة الفرنسية التي كتب بها في القرنين السابع عشر والثامن عشر.

أمل أن أكون في ترجمتي لمذكرات الرحالة الفرنسيين هذه، أكون قد أضفت إلى المكتبة العراقية والعربية كتاباً يتحدث عن وقائع وأحداث كانت في طي النسيان، ويضم معلومات قد لم تتطرق إليها مؤلفات وكتب تاريخية سابقة.

وفي الختام لا بد لي أن أقدم شكري إلى شقيقي الدكتور مفيد الزبيدي أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر في كلية الآداب – جامعة بغداد الذي راجع الكتاب من الناحية التاريخية، وإلى الأستاذ الدكتور عبد الجبار ناجي رئيس قسم الدراسات التاريخية في بيت الحكمة ببغداد الذي وفر لي عدداً من هذه المذكرات.

أحمد الله أولاً وأخيراً الذي يسر لي إتمام هذه الترجمة التي بدأت بها منذ نهاية عام ٢٠٠٢ وأكملتها في منتصف عام ٢٠٠٤.

إنه ولي التوفيق

المترجم

بغداد في

٢٠ صفر ١٤٢٤هـ

١٠ نيسان / أبريل ٢٠٠٤م

الفصل الأول

رحلات في القرنين السابع عشر والثامن عشر

1

الرحلة الأولى

أخبار رحلة دي تيفينوت^١ إلى المشرق

تأريخ الرحلة (١٦٦٤م)

تأريخ ومكان النشر (باريس - ١٦٦٥م)

Relation d'un voyage Fait au Levant
Par M. De Thevenot
Paris - 1665

أخبار ما حدث لدى احتلال بغداد من قبل السلطان مراد^١ إمبراطور الأتراك^٢،
مترجمة عن رسالة مكتوبة من قبل بيزار^٣ لمعالي سيادة مصطفى باي أحد بايات
سناجق مصر (القاهرة) تحديداً، وبعد تقديم الثناء لله وتقاليده أخرى يتبعها الأتراك في
رسائلهم جاء ما يلي:

١ جان تيفينوت (Jean Thevenot) زار المشرق العثماني والفراسي عام ١٦٥٥ بتحريض من المستشرق هيريلو،
وزار سورية في رحلته الثانية عام ١٦٦٤، نشرت رحلته بعنوان (رحلة إلى المشرق) عام ١٦٦٥، بعد وفاته. ذكره
لونكريك في كتابه أربعة قرون من تأريخ العراق الحديث، ضمن كتابات السواح الذين زاروا بلاد المشرق، مشيراً إلى
كتابه قصة رحلة في بلاد المشرق، إذ أورد في الصفحة ٥٦٩ وصفاً لاحتلال بغداد على لسان شاهد عيان، كما ذكر
كتاب آخر له عنوانه مجموعة رحلات، مطبوع في أمستردام عام ١٧٢٧م، ذكر في جزئه الرابع وتحديداً في
الصفحات (٥٥٧ - ٥٩٢) رحلته إلى البصرة والإحساء والقطيف. (م) سوف يشار بدلاً عن كلمة المترجم في
الهوامش به (م) اختصاراً.

١ حكم السلطان مراد (١٦٢٣ - ١٦٤٠م)، ولد في ٢٨ جمادى الأولى سنة ١٠٢١ هـ الموافق ٢٧ تموز ١٦١٢م، وهو
الابن الخامس للسلطان أحمد الأول الذي أطاح بحكم مصطفى الأول في أيلول ١٦٢٣م، ومات سنة ١٦٤٠م، ولزيد
من التفاصيل، أنظر:

J.H.Kramers , The Encyclopaedia of Islam Art.Murad 1V , Vol 111 ,London,
1936.p.731.

٢ وقعت بين أيدينا رواية احتلال بغداد من قبل السلطان مراد (Amurath) مترجمة عن التركية إلى الفرنسية، والتي
نرجع إليها في عدد من الموضوعات المتعلقة بها.

٣ البيزار: مدجن الباز. (م)

في اليوم الثامن من بزوغ قمر شهر رجب، الذي وافق في الأول من شهر نوفمبر من العام الميلادي ألف وستمائة وثمان وثلاثون، دفع عظمة السلطان معسكر قطاعاته أمام بغداد في نفس المكان الذي وضع فيه السلطان سليمان قواته قبل أكثر من مائة عام، وذهب في نفس اليوم لزيارة الضريح المقدس، للإمام الأعظم في حين استدعى جميع الوزراء والباشات وأركان الحرب الآخرين آمراً إياهم بوضع جنودهم في حالة استعداد للمعركة، ومن ثم أرسل البريد إلى جميع القادة المنتشرين حول معسكره المسمى (سلاح الفرسان)، في حين جهز المقاتلين في صفوف جيشه من حولها، بعدها قام بجولة تفتيشية حول المدينة على ظهور الخيل المجهزة بأجل وأبهى الأسلحة، ثم عاد إلى المركز، الذي كان مغلقاً بشكل محكم، إذ لا يستطيع أي شخص أن يدخل إليه أو يخرج دون أن يعطي سبباً إلى القادة الذين وضعوا على أجنحة الجيش حول المدينة.

وفي ذات اليوم عمل على إنشاء أكداس كبيرة من التراب في أماكن متعددة، وقد نقل إليها كمية كبيرة من الأخشاب وحزم أغصان الأشجار التي مزجت مع الأتربة فكانت هناك تلال متساوية في ثلاثة أماكن حتى غدت أكثر ارتفاعاً من أسوار بغداد، نشر على كل منها عشرون قطعة مدفع، شرعت بالرمي منذ فجر اليوم التالي، وفي ذات الوقت قام السلطان بإنشاء برج عالي أمام سرادقه إذ يصعد عظمته إلى أعلى البرج ليشاهد - كما في معرض لوحات فنية - ماذا يجري في جيشه وفي مدينة بغداد بأسرها، بعيداً عن مدافع العدو ويأتي إليه في هذا المكان كبار الشخصيات، أمثال رجال القضاء وقادة الجيش ورؤساء الشرطة، وقد جمعهم ذات مرة ليقول لهم: أنتم أيها المفتون والوزراء والبيلاية^١: الباشا وقادة السناجق^٢ وجميع من وضعهم الله تحت طاعتي، لا تفكروا أبداً بأنه قد جيء بكم إلى هنا مع هذا الحشد الكبير من الجنود الأوفياء للقانون، سوى لكي تنتصروا أو تموتوا، ومن أجل ذلك بما أنكم جميعاً تقفون

^١ البيلاية: رئيس البكوات ضمن نظام الخيالة. (م).

^٢ السناجق: كلمة تركية بمعنى علم، وهي هنا كانت تعني منطقة يحكمها (سناجق بك) بمقام وحدة إقطاعية، وأصبحت بعد ذلك تشير إلى الوحدة الإدارية التابعة إلى الإيالة ويحكمها متصرف.

أمامي، فإنه لا يوجد حل آخر أمامكم سوى القتال، وبعبكسه فإن الحل هو يدي
النظيفة التي سأقتل بها القادة الكبار الذين لا يؤدون واجبهم، وسأفعل ذلك بالصغار
الواحد تلو الآخر، أو ستقتلون بيد العدو، و بعد ذلك سأموت أنا أيضاً، لكي تذكر
الروايات التاريخية للأجيال القادمة بأن خليفة الدولة العثمانية العظمى قد مات هنا
مع مليون رجل من أجل الدفاع عن العقيدة.

بعد ذلك خفض من صوته، لكي يتعامل معهم بحدة أقل، قائلاً لهم: ألم تروا أن
العالم هو عبارة عن شيء تافه أو بالأحرى لا شيء، لذا فإن الذي يموت في موقف
مشرف، يجد خيراً بعد موته، ولكن الذي يقتل عدواً من أجل العقيدة، هو أيضاً أكثر
سعادة في الجنة: أنتم آبائي (هكذا خاطب كبار السن) وأنتم إخواني الذين في عمري،
لأننا خلقنا من مادة واحدة، فلنفعل شيئاً يجعل نبينا العظيم (محمد صلى الله عليه
وسلم) هو المدافع عنا يوم الحشر، يوم سنمثل جميعاً أمام محكمة الإله العظيم،
وأردف قائلاً: أما هؤلاء الأوفياء فإنهم قاتلوا بشجاعة من أجل المجد الأكثر علواً
لمبادئهم المقدسة ومقدساتكم جميعاً، وإذا ما قاتلنا وانتصرنا، فاتنا حينها نستطيع أن
نشعر بامتلاكنا للطمأنينة في هذا العالم، وسنحصل على المجد تلو الآخر، ومن أجل
ذلك أود إخباركم بأن من المناسب أن نقاتل دون خوف من الأخطار، ولكن لماذا
تخشونها ؟ أستم تدخلون هذه المعركة من أجل محبة نبينا العظيم الذي وعدنا خيراً
كثيراً أمام صاحب الجلالة (الإله العظيم)، كلا لا أعتقد بوجود حالة خوف لدى
أحد منكم، وإذا وجدت أن البعض منكم لا يمتلك قلباً شجاعاً ليدخل المعركة، فإني
سأقتله بسيفي، من فهم قلبي هذا من جميع الحاضرين، فليرفع يده فوق رأسه، وقد
أجاب الجميع بصوت واحد بأنهم جميعاً مستعدون لتنفيذ رغبة عظمتهم، ومنذ ذلك
الحين دخلوا المعركة دون ضياع للوقت.

لقد وضع السلطان الأعظم جميع سرادق الأطباء والجراحين في جيشه خلف
سرادقه، معلناً أوامره بجلب جميع الجرحى إلى هذا المكان من أجل تضميدهم ، وهذا
ما حصل لاحقاً. وقد تحدث إليهم السلطان بكلام جميل وعاملهم بشكل حسن، ثم

أعطى كل واحدٍ منهم مبلغاً فقد أعطاه في يوم واحد إلى سبعمائة جريح، ولكم أن تتصوروا لو أن المعركة كانت سهلة، فهل أعطى هذه المبالغ إلى أبناء هؤلاء الذين قتلوا، أو أعطاها إلى أكثر الناس قرابة إليهم.

وبعد تسع وثلاثون يوماً من الحصار، أُحتلت المدينة في اليوم الأربعين، وكان عظمته يتذرع إلى الله بالصلاة طيلة تلك الأيام وفي جميع الليالي جاثماً على ركبتيه معفراً جبينه بالأرض والدموع تتساقط من عينيه، وفي كل الأمسيات يتم التنقل بالعربات إلى مسافات قريبة من ساحة المعركة، التي بدأت بالزحف عليها اتقاء مدافع العدو ومن أجل الاقتراب من المدينة، في حين وجدنا أنفسنا في العاشر من قمر شهر شعبان أمام حفر من الأرض، حينها أمر عظمته بأن تدفن هذه الحفر بعدد كبير من الأكياس المملوءة بالتراب وبصورة مستعجلة. وهكذا فقد ردمت خلال أربعة أيام وأنشأت ثلاثة تلال أخرى، نقلت إلى قممها المدافع التي كانت في المقدمة، إذ يمكن بواسطتها إصابة نصف أسوار بغداد ذلك أن النصف الآخر كان مطموراً تحت أكداس التراب من جميع جهات المدينة، حيث لا تستطيع المدافع من الوصول إليها: لقد تم رمي ألف إطلاقه مدفع صوب المدينة، ووجهت نحو بعض المباني أو القباب ذات الأجراس التي قاومت الإطلاقات، وكان الهدف منها إنذارها بأن تخلى دون أن تصاب بأذى: وفي موقع سليمان باشا الذي كان على أحد التلال، هنالك اثنا عشرة مدفعاً ترمي بشكل مستمر على المدينة، وقد أصابت عدداً كبيراً من المنازل. في حين كان موقع الوزير الكبير على تل آخر مع الرماة الذين كانوا يصوبون إطلاقاتهم نحو المدينة، متحصنين خلف ثلاثة حصون. لكن الأخير قتل من جراء إصابته بإطلاقه بندقية في الرأس وجرح ثلاثة من البيليربي هناك، وفي اليوم السابع عشر نصب مصطفى باشا الذي كان باشا وقائمقام البحر بدلاً عنه، وعندها سلمه السلطان الأختام.

وفي اليوم الثامن عشر حينما كان ضياء القمر ساطعاً لم تكن هنالك حاجة إلى حمل فتائل مشتعلة، وقد تم دخول المدينة في هجوم عنيف متهور، حيث طلب

امتد على الأرض متوسلاً الرحمة ومقديماً المزيد من عبارات الشكر لعظمته واعدأ بأن يكون عبده، وعينه تقطر دمعاً بل سيلاً من الدموع، التي هي أسلوب ناجح جداً لاستعطاف الأتراك، وبعدها أعاده إلى سرادق الوزير الكبير، في حين أرسل الكهية إلى المدينة للتعرف على رغبة السلطان، ولكن في تلك الأثناء دخل عدد من الجنود قريباً من موقع الوزير الكبير في ذات الوقت من خلال الباب المسمى (Himan Azana) وبدأوا بنهب المنازل إذ تم رؤية ستة من الخانات (khans) - وهم لدى الفرس بمثابة الباشوات لدى الأتراك - كانوا في المدينة ولم يستطيعوا التعبير عن شكواهم، وظلوا يصرخون بأنهم أخلفوا وعدهم الذي قطعوه بعد أصبحوا تحت رحمته، إذا كانوا قد عاملوهم بقسوة، في حين تجمع معظم الجنود في باب يدعى (cara cape)، وكان أتباعنا غاضبين جداً من المذبحة ومن السلب والنهب الذي ارتكبوه، لذا فإنهم لم يستمعوا إلى إنذارهم، لقد قتلوا جميع من صادفوه في تلك الليلة التي جرت فيها المذبحة، والله يعلم كم هو عدد الفرس الذين قتلوا في تلك المذبحة، وكم هو حجم الغنائم الذي أخذها أتباعنا.

في الصباح جاء الخانات أنفي الذكر مع خمسة عشر ألف رجل الذين استطاعوا إعادة تجميعهم، مصوبين أسلحتهم باتجاه السور وسيوفهم مشرعة بأيدي أخرى، وبدأوا بالنزول في اندفاع شجاع، وقد نقل فوراً الخبر إلى عظمة السلطان، الذي أمر بأن يأتي جميع الجنود من المواقع الأخرى إلى الداخل، وقد وضع كل شيء على حد السيف، لكنه قرر أيضاً أن يبقي البعض تحت إرادته ويقتل الآخرين.

ومن بين أولئك كان هنالك عشرة آلاف قتيل، أما الآخرين فكان عددهم خمسة آلاف، في حين اقتيد الخانات الستة كالأسرى، وكانوا: نائب خان أسير الوزير الكبير مع الحاكم بكتاش خان، وميرزا علي بيك خان، ولالا محمد، وأوسين خان التابع لساليكتار باشا، وألين خان مع اثني عشر من المرافقين الكبار لباشا القاهرة.

إن الخمسة آلاف فارسي الذين حضروا ليكونوا تحت رحمة السلطان وضعوا تحت حراسة بيليربي واحد ومجموعة من الجنود المجردين من السلاح، وذلك لمنع جنودنا من أن يسببوا لهم الأذى. لكن الوزير الأكبر شاهدتهم يمرون أمام سرادقه، حينها جمع قادة الجيش الذين كانوا قريبين منه، وقد قال لهم: لماذا نقدم الشفقة إلى هؤلاء الكلاب الذين ليس لديهم أي ولاء، ولم نكن نرى وعودهم مطلقاً وهم الذين لم يعودوا بحسب رغبتهم، لكننا نحن الذين أرغمناهم على ذلك بالقوة، فالله هو الذي آزر أيدي جنودنا البواسل، ألم يكونوا هم أنفسهم الذين انتصروا علينا في ريفان (Revan)، وبالمقابل فإن السلطان عاملهم برأفة وطاعة بعد أن حصلوا على الرحمة، وقد سرحهم عظمتهم مع أسلحتهم وأمتعتهم، في حين أنكروا هذا الفضل، فقتلوا آلاف من جنودنا الذين وجدوا أنفسهم تحت رحمتهم؟ ماذا إذن بشأن دم الأوفياء الذين أريق بفضاعة؟

إن الرحمة تسبغ عليهم في حالة كونهم جاءوا دون قتال، ولكنهم أسروا بعد إصرارهم على المقاومة، وهم بذلك أصبحوا غير جديرين بالرفقة والشفقة، ولكن على أية حال، فإن عظمة السلطان إذا أصدر العفو عنهم، فإني سوف لا أعفو عنهم، وقد أوعز فجأة إلى نافلي أوقلي، وإدريس محمد باشا، وإلى فارفارلي باشا، وإلى شناس كاساندار، وإبراهيم باشا (باشا السويس)، بتمزيقهم إرباً إرباً، ولكنهم رفضوا ذلك بداية معتذرين بأن السلطان الأعظم قد عفا عنهم. ولكنه أعطاهم الأمر مكتوباً من أجل تسوية موقفهم، آخذين الميثاق الذي أعطاه لهم ليذهبوا بمقتضاه لتنفيذ أوامره.

الذي حدث، هو أن السلطان أرسل إليه، وقد سأله عن سبب إعطائه مثل هذا الأمر المخالف لما أمر به، ناكلاً الوعد الذي أعطاه، وقد كانت إجابته: بأنه رغم إعطاء السلطان الرحمة لهم، إلا أنه لا يريد لها لهم بسبب ما ذكره من أسباب آفة الذكر، ومع ذلك فإن القول يرجع أخيراً إلى عظمتهم، وبعد قليل من التفكير، تأمل السلطان ما

سمعه للثو، فخلع سترته التي كان يرتديها وأعطاهما للوزير الكبير، وأثنى على ما قام به من عمل.

أخيراً كان هناك في بغداد واحد وثلاثون جندياً من صفوة الجند، جميعهم مختارين مع عشرين ألف آخرون كانوا قد دخلوا بصفة متطوعين، جميعهم كانوا قد مروا تحت شفرة سيوفنا دون أن يهرب أحد منهم لينقل الأخبار إلى مدن الفرس الأخرى.

لم تكن هنالك مطلقاً معركة مماثلة لهذه المعركة ضد الفرس، منذ معركة (جالديران)^١ عام ١٥١٤م عندما دارت معركة ضد السلطان سليم والد السلطان سليمان القانوني والشاه إسماعيل الصفوي ملك الفرس حيث قتل أكثر من ثمانمائة ألف رجل من الطرفين، وفي اليوم الثامن عشر من قمر شهر شعبان الذي وافق يوم جمعة أعيدت مدينة بغداد بأكملها إلى يدي السلطان الأعظم، مع الشاء والشكر لله، ومباركة الناس من الأهالي، الذين كانوا يأملون استعادة حياة جديدة، وحينما تبين للمحاصرين أنهم لم يعد باستطاعتهم مقاومة مشيئة الله أكثر من ذلك، لذا فإنهم فضّلوا بشكل ملحوظ مسالة سلطاننا العظيم. وقد قتلوا جميع النساء والأطفال الصغار وعرقبوا^٢ من خمسة آلاف على ستة آلاف حصان ثمين، وذلك من أجل أن لا نستفيد منها.

أما بكتاش خان الذي كان عظمة السلطان قد أكرمه بشكل مهيب كما مرّ ذكره، فقد وجد داخل المدينة في الصباح ميتاً، وقد تبين أنه سمم نفسه في الليلة الفائتة، ودفن حينها مثل "الكلب".

١ جالديران: معركة وقعت عام ١٥١٤م بالقرب من مدينة أرمينية، انتصر فيها العثمانيون بقيادة السلطان سليم

الأول على الإيرانيين بقيادة الشاه إسماعيل الذي جرح في هذه المعركة، فدخل العثمانيون مدينة تبريز. (م)

٢ عرقب: قطع العرقوب الواقع بين الساق والوظين للحيوان. (م)

وقبل مغادرة عظمة السلطان إلى القسطنطينية، وصل رسول ملك الفرس الذي أمر سموه بإيقافه ووضعته تحت الحراسة الدائمة، ثم اقتادوه إلى عظمة السلطان، الذي خاطبه قائلاً: اذهب وقل للملك بأن يرسل لي نسيان باشا، ميمي باشا، عيان باشا، شيبوربكيري، الذين أسروا في بلاد فارس، مع كل ما أخذوه من بغداد وريفان (Revan) سواء كان مالا أو سلاحاً أو ذخيرة حربية، وأن يعيد لي (تفريز جنا سيفام، شيرسول)، وجميع المقاطعات الأخرى والأماكن التي كان قد أخذها من والد جدي السلطان سليمان، وأن يعطيني الجزية والعطايا مستحقة منذ ذلك التاريخ. وبعد أن يتحقق ذلك سوف نتجه نحو تسوية الحدود، وفي حالة موافقته على هذه الشروط وأخذه بها، سأكون حينها مسروراً، وستنتهي جميع الخلافات بيننا، وإلا فإنني أود أن أوضح له بأنه عندما يستخدم أي شكل من أشكال الاختفاء ولو كان تحت الأرض أو يكون طيراً ليحلق في الهواء، فإنه سوف لا يفلت من بين يدي، وسأضع جميع مدنه تحت سيطرتي وأن لا أبقى منزلاً سليماً في أصفهان، وجابا وأردبيل، ولا في المدن الأخرى، قصبات أو قرى، وسوف لا يجد عشباً في جميع أراضي مملكته، وسأطارده بعد ذلك أمامي كالصياد حينما يطارد فريسته، وليلاحظ جيداً أن الندم لا يعطي أية نتيجة بعد أن يقع في الغلط، وإذا ما أراد أن يستعد لهذه المواجهة، فإنني مع مساندة الله لي سأكون في عقر داره، حينها سيطلب ألف مرة الرحمة مني، وسوف لن ينالها، وقد قام عظمته بكتابة رسالة في ذات الشروط، وضعها بين يدي الرسول، ثم أذن له بالانصراف، بعدها أعاد بناء ضريح الإمام الأعظم من جديد وزينه بالعديد من المصابيح الذهبية المرصعة بالأحجار الكريمة. وغطى الفناء بسجاد من الحرير، وزين الأضرحة المقدسة الأخرى كذلك: وقد أرسلت مشيئة السلطان و بانتظار رد ملك الفرس، وبعد أن عاد إلى القسطنطينية، حينها توقفت كافة الأعمال.

كتب في بغداد في الثاني والعشرين من شهر شعبان ١٠٤٨ للهجرة الموافق للتاسع عشر من شهر ديسمبر ١٦٣٨ للميلاد.

الفصل الأول... رحلات في القرنين السابع عشر والثامن عشر.....

الرحلة الثانية

مذكرات رحلة جان أوتير إلى تركيا وبلاد فارس مع أخيار

رحلات طهماز كوي خان (فصل عن بغداد)

تأليف أوتير من الأكاديمية الملكية للبحث والفنون الجميلة

تأريخ الرحلة (١٧٣٩م)

تأريخ ومكان النشر (باريس - ١٧٤٨م)

**Voyage En Turquie Et En Perse Avec une Relation des Expéditions
de Thomas Kowi – Khan**

Par.J. Otter¹ de L'Académie

Royal des Inscriptions & Belles Lettres

Paris – 1748

١ جان أوتير (Jean Otter): عضو البعثة الأثرية التي كان يقودها المركيز دوفيللينوت ومن خلفه في المكتبة الملكية، وقد أوفد إلى المشرق عام ١٧٣٤ وبقي عشر سنوات تنقل فيها ودرس اللغات والسياسة وتاريخ الشرق وتنمية تجارة فرنسا مع الشرق. وكوفئ على حماسه براتب ووظيفة مترجم في المكتبة الملكية للغات الشرقية وأستاذ كرسي اللغة العربية عام ١٧٦٤م.

بغداد^١:

لم يعد لدي عمل في بغداد فقد أبحرت في الثامن من حزيران على متن مركب مؤجر من قبل تجار أتراك ونزلت في ذلك اليوم في كاراكابي (kara - kapi) أحد أبواب بغداد، إذ أن جميع الذين توجب سفرهم عادوا إلى هناك في اليوم التالي وحينما كنا نسلك الطريق جاء أحد رجال الأغا^٢ من الإنكشاريين ليوقفنا بعد ساعتين من الإبحار، وقد اصطحب معه ستة من المتمردين الإنكشاريين الذين أودعوا في عهدة قائد المركب كمحتجزين مع أمر باقتيادهم إلى مدينة البصرة، حيث قرر الباشا نفيهم.

ويعد أحمد باشا الوحيد الذي توصل إلى سر تهديد الإنكشارية الذين يخافهم ليس فقط الباشوات الآخرين ولكن غالباً السلاطين أنفسهم. ولكي ينجح في فرض احترام هذه المليشيات له وتوجيهها والسيطرة عليها، فقد قام بكل ما توجب على السلاطين القيام به (ربما كانوا قد جربوه ولكن دون جدوى). وقد شكّل أفواجاً من قطعات أخرى لغرض تحقيق موازنة سلطة الإنكشاريين مع تلك الأفواج، ومنذ ذلك التاريخ قام بنفي قسم كبير منهم وضيق الخناق على الآخرين في أحيان أخرى دون أن يخشى جانبهم.

أكملنا طريقنا، وبعد أن عبرنا ملتقى نهري ديالى ودجلة، توقفنا والوقت يشرف على المساء، إلى مسافة قريبة من منطقة سلمان باك، أحد الأماكن المقدسة لدى المسلمين. وتبعد مدينة المدائن^٣ قليلاً عن تلك المنطقة، إذ تقع على الضفة الشرقية لدجلة حيث يرى المرء أطلال قصر الملوك القدامى للفرس الملقبون بـ (الكسرويين)، والمقصود به ((عرش الإمبراطور)).

١ الفصل الرابع من الكتاب.

٢ الأغا: كلمة تركية، تعني سيد أو موظف من الدرجة الوسطى (أحياناً العالية)، وقد يكون عسكرياً أو ملكياً أو مستخدماً في بيت عظيم الشأن.

٣ المدائن تقع بحسب الأطلس على ١٧ درجة على خط الطول و ٣٣ درجة و ١٠ ملم على خط العرض.

إحدى هذه الأطلال عبارة عن صالة كبيرة مقببة، طولها ٦٤ خطوة وعرضها ٣٦ خطوة، في حين يبلغ ارتفاعها سبعون ذراعاً في الطابق الأرضي للقبة، ويزعم أن ارتفاع القبة كان ١٥٠ ذراعاً، في حين أن هذا الصرح الكبير قد تصدع الجزء الأكبر منه في لحظة ولادة النبي (ﷺ) عندما سقطت منه أربعة عشر شرفة.

والمدائن هي أكبر مدن العراق الرئيسية، حيث الأخريات هن: القادسية، ورومية (Roumié)، والحيرة، وبابل، والحلة، والنهروان.

وقد وضع تيمور الأسس الأولى للمدائن، في حين أنجزها وأكملها جمشيد. إذ أقام هذا الملك الأخير جسراً من حجر على نهر دجلة في هذا المكان، لكن الجسر تهدم مثلما هو حال المدينة، التي هي اليوم ليست سوى قرية، وهذه المدينة كانت تدعى ((طيسفون)) مقر ملوك البارثيين، وقد سماها أبو الفداء أيضاً طيسفون وإسبانين. وأضاف بأنه يوجد في هذه المنطقة على الضفة الغربية لنهر دجلة، مدينة أخرى تسمى سابات وإلى جانب هذه الأخيرة توجد أخرى تسمى نهرشير، وتوجب أن تكون إحدى هاتين المدينتين اسمها " سيلوسية دجلة القديمة "، وإلى جوار المدائن توجد مدينة رومية (Roumié) التي بناها أنوشروان وذلك بعد غزو أنطاكية واسكن أسرى هذه المدينة فيها، كما يقال.

يقول عدد من الكتاب العرب بأن رومية تشبه إلى حد كبير أنطاكية، فعندما دخلها الأسرى شعروا كما لو أنهم في بلدهم " الأم "، إذ يعرف كل واحد منهم الحي الذي يسكنه والشارع، وقد ذهب ليعيش في مسكنه.

في اليوم العاشر لم نسلك الطريق بسبب عاصفة شديدة جداً حملتنا بشكل مستمر نحو السواحل، وعلى الرغم من أن نهر دجلة يتلوى في مسيره مثل نهر السين على الأقل، إلا أن تياره المباشر يأخذنا إلى القرنة. ولا يستطيع المرء أن يستخدم الشراع إلا في أوقات متقطعة وبقية الوقت استلزم الأمر سحب المركب من قبل الرجال، وبعد أن هدأت الرياح في المساء مشينا بعضاً من الليل وتابعنا طريقنا في اليوم

التالي، وقد بدأنا بمشاهدة الخضرة والأخشاب المقطوعة على ضفتي النهر حيث قيل لي بوجود خنازير برية وأسود فيها.

إن مياه نهر دجلة تنقص بشكل ملحوظ في الصيف بسبب توقف الأمطار وذوبان الثلوج في هذا الفصل، كذلك لأنهم يقومون بسحب كثير للمياه في المناطق المنخفضة من أجل ارواء الأراضي. وفي تلك الفترات تكون الملاحة في النهر صعبة جداً إذ يمكن للمرء أن يصل في الغالب إلى أسفل القعر، ولكون أسفل المركب مسطح فإن المرء لا يواجه صعوبة بهذا الخصوص.

لقد حدث لنا في ذلك اليوم ولعدة مرات أن لامسنا الأرض وجنحنا نحوها بفعل الريح الشديدة وتيار الماء، دون أن نصاب بأذى من جراء ذلك فيما عدا التأخير، لذا فقد قضينا الليل دون مواصلة المسير، في حين سلكنا طريقنا ثانية في اليوم الثاني عشر مع هبوب ريح شديدة أجبرتنا على التوقف في جزء من النهار مرة أخرى.

ويوجد في المركب نوع من طيور الزاجل التي ترسل من البصرة إلى بغداد لحمل الأخبار وبالعكس، وقد سألت أحد تجار هذه المدينة الأخيرة عن كيفية تمكن هذه الطيور من سلوك هذا الطريق دون أن تضل، وقد أجابني بأنه لغرض تعويدها على ذلك نقوم بإطلاقها في البدء من مكان أقل بعداً عن هدفها، ثم بعد ذلك نحملها إلى مكان أكثر بعداً، وهكذا تدريجياً حتى تصل إلى البصرة، وقد أضاف بأنه لدى إطلاقها من اليدين ترتفع إلى ارتفاع عالٍ جداً، بعدها تهبط قليلاً لتأخذ بالطيران بشكل مستقيم باتجاه المكان المرسل إليه متبعة بشكل مستمر نهر دجلة الذي يرشدها في الطيران.

واصلنا تقدمنا في اليوم التالي فوصلنا نحو المساء إلى العمارة وهي عبارة عن مكان صغير يسكنه العرب، يضم نحو عشرون منزلاً على الضفة الشرقية لنهر دجلة، الذي ينقسم في الجزء الأسفل من هذه المدينة إلى فرعين، يتجه أحدها إلى اليمين

وبحجة أنهم لم يلقوا عناية واهتمام واحترام يتناسب مع هيبته، في حين أن الأتراك الذين تحملوا الإنفاق على الوليمة في سبيل الإحسان والصدقة استنكروا رد فعل الدراويش الذين يستجدون الطعام وهم في ذات الوقت لم يعبروا عن القناعة والرضا لما حصلوا عليه.

تابعنا طريقنا في اليوم التالي (السادس عشر)، فعبرنا "أم الجميل" (Um-ul-Dgemel) التي لا يوجد فيها سوى عدد قليل من الأكواخ، في حين زرت في اليوم التالي قبر عزرا (Esdras)، الذي يسميه العرب إفرا ابن هارون (Afra-Ibn-Haroun)، وحتى المسلمين يزورون هذا القبر. أما اليهود فقد بنوا مصلى جميل من الآجر المحاط بجدار وهم يقومون بزيارته في كل عام، ويقع الضريح في وسط المصلى الذي يبلغ ارتفاعه ستة أقدام تقريباً، وهو مغلق بقفل حديدي تتوسطه قبضة من رمانة نحاسية، وفي الأعلى توجد نقوش عبرانية بأحرف ذهبية.

في اليوم التالي وصلنا إلى مدينة القرنة (Corna) التي هي مدينة كبيرة جداً تقع على ملتقى نهري دجلة والفرات قبالة منطقة "الرحمانية" (Rahmani'e)، يوجد في القرنة كمرك وأراضي قديمة يحرسها عدد من الجنود الإنكشاريين، وتخضع هذه المدينة إلى ولاية أحمد باشا المسمى بـ (الأغا).

أما مدينة "الجيرفير" (Dgerfir)، فهي تقع قبالة شرق دجلة وتتبع للأتراك، لكن الفرس يملكون فيها قلعة تتوسطها حامية تضم مائتي رجل، يتم تغييرهم في كل عام مع كثير من تدابير الحيلة والحذر.

أما "جصان" (Dgessan)، فهي منطقة أخرى تقع على ذات الجهة حيث حدود بلاد فارس، بين "الجيرفير" و"ديرتنك"، وتوجد فيها قلعة تقع بين تلك التي في "بدره" وتلك التي في "مغول خاني"، أو نهر أسيتاب (Asitab)، وأعني به نهر الشمس الذي يأتي من "كيوه - جيلان" خلف جبال الحيرة (Hire') فهو يمر بين قلعة جصان (Dgessan) وبين قلعة بدره (Bedrai).

ويلتقي نهري دجلة والفرات بعد القرنة، ليشكلان نهراً عريضاً وعميقاً درجت تسميته "شط العرب" وهو يعني بالعربية "نهر العرب"، تصب مياهه في البحر مباشرة. وقد توقفنا خلال عدة ساعات في كمرك القرنة من أجل زيارة المتاجر، بعد ذلك واصلنا مسيرنا. وقد بدا لي في منتصف طريق هذه المدينة إلى البصرة مسجد صغير إلى جانبه منارة، يقول العرب عن هذا المسجد أنه بُني في ليلة واحدة من قبل الملائكة، وبفضل الرياح وتيار المياه وصلنا مساءً أمام البصرة وصعدنا القناة في اليوم التاسع عشر.

الرحلة الثالثة

رحلات الكومت فيريير - سوفبوف^١
إلى تركيا وبلاد فارس وبلاد العرب
مذكرات تاريخية، وسياسية، وجغرافية

تأريخ الرحلة (من عام ١٧٨٢ إلى ١٧٨٩م)
مكان وتأريخ النشر (باريس - مكتبة بويسو ١٧٩٠م)

Mémoires Historiques , Politiques
Et Géographiques Des Voyages Du Comte
De Ferrières – Sauveboeuf
Paris - 1790

هناك عدد كبير من الفرس جاءوا واستقروا مع عوائلهم في بغداد، فضلاً عن الأرمن الهاربين إليها الذين حملوا معهم ثرواتهم وصناعاتهم أيضاً، هذه المدينة التي يغمر نهر دجلة جدرانها تمتلك جسراً من القوارب^٢ يربط بين جهتيها، ويعود توسعها أساساً إلى المهاجرين الفرس، وإلى العرب المتعبين من العيش تحت الخيام، وإلى موقعها المتميز جداً في التجارة، وهي تقع في وسط صحراء شاسعة.

١ فيريير - سوفبوف (Ferriers – Sauveboeuf): أرسل في مهمة استخباراتية إلى فارس عام ١٧٨٢. طبع مذكراته

التاريخية والسياسية والجغرافية من عام ١٧٨٢ - ١٨٧٣ عن رحلته إلى تركيا وفارس والجزيرة العربية. (م)

٢ جسر القوارب: عبارة عن جسر مصنوع من قوارب مترابطة ومغطاة بالألواح ضخمة.

الفصل الأول...رمالات ضحي الضريين السابع عشر والثامن عشر.....

الفصل الثاني

"فصول من كتاب" بغداد،

سكة حديدها، أهميتها، ومستقبلها"

إميل أوبليه

تأريخ الرحلة (١٩١٦)

النشر: باريس (١٩١٧)

Bagdad, Son Chemin de Fer, Son Importance,
Et Son avenir
ÉMILE AUBLÉ
Paris – 1917

2

أولاً: مدينة بغداد^١

لم تعد بغداد اليوم مدينة ألف ليلة وليلة أو مدينة الخلفاء المتألقة ذات المظهر البهي الخلاب، إذ لم يبق منها حالياً سوى صورة شاحبة مقارنة بما كانت عليه بالأمس، فقد مرّ الأتراك بها، وأقاموا فيها واستقروا لفترة طويلة، في حين أن أصدقاءنا الروس والإنكليز هم في طريقهم اليوم لإزاحتهم عنها.

وبغداد بعد سميرن^٢، ودمشق، المدينة الأكثر سكاناً في تركيا الآسيوية. أما بالنسبة لإحداثياتها الجغرافية فهي تقع على خط طول ٢٠، ٤٤ درجة وخط عرض ٢٢، ٣٣ درجة عن خط غرينتش، في حين تقع القاهرة على خط طول ٥، ٣٠ درجة، وخط عرض ٣٢، ٣١ درجة عن الخط ذاته، وهذا يعني أن بغداد تقع على خط يزيد ١٧، ٣ درجة إلى الشمال مقارنة بالقاهرة. وفيما يتعلق بمناخها فبغداد أشد حرارة من العاصمة المصرية، ولكنها ليست رطبة أبداً، في حين تبلغ مساحتها ٨ كم (آنذاك)، وهي مربعة الشكل.

إن هذه المدينة العجيبة، هي من المدن الأكثر ثراءً في الإمبراطورية العثمانية، وأجواءها لطيفة في أغلب مناطقها بفضل نهر دجلة الذي يقسمها تبعاً لعرضها، إلى قسمين غير متساويين وذلك بنسبة خمس مساحتها على الضفة اليمنى وأربعة أخماس الأخرى على الضفة اليسرى وتسمى الضفة اليمنى بالعربية "الكرخ" والضفة اليسرى "الرصافة".

إن الوصول إلى بغداد عن طريق النهر، سواء من جهة الجنوب أو من جهة الشمال هو في غاية المتعة، فالنهر العريض يقطعه جسر بدائي جداً طوله خمسون متراً شيد على طوافات تمخر عبره الزوارق والقفف الكبيرة التي يتم عبور النهر بواسطتها،

١ الفصل الثاني من الكتاب.

٢ سميرن: أزمير (م).

الهنود المسلمون على مدار السنة لكي توزع على الفقراء بواسطة المرجعيات الروحية (للشيعة) في الأماكن المقدسة.

أما القنصلية الألمانية، فقد أنشأت منذ ست أو سبع سنوات، إذ أن هذه الأمة التي لها مصالح كبيرة أنشأت قنصلية من أجل دراسة الأحوال التجارية والاقتصادية للبلد، ولغرض إدخال منتجاتها الصناعية لهذا البلد ولكي تهيئ الأرضية المناسبة للتوسع الألماني في المستقبل مثلما حدث ذلك في الأناضول.

٦- المناخ

تقع بغداد ما بين (٣٥ و ٣٨ م) فوق مستوى سطح البحر، أما مناخها فإن بإمكاننا تقسيم السنة في هذه المدينة إلى فصلين، الأول يشتمل على الفترة التي تبدأ من تشرين الثاني / نوفمبر حيث تسقط خلاله الأمطار. ومعدل درجة الحرارة القصوى هي ٣٢ درجة، والمتوسطة أقل من ٢٤ درجة، في حين أن رطوبة الجو في الثامنة صباحاً تتراوح بين (٥٩ إلى ٨١ درجة)، ويمكن تسمية هذا الفصل بالشتاء أو الفصل البارد.

أما الأشهر الستة الأخرى، من مايس / أيار إلى تشرين الأول / أكتوبر فمعدل درجة حرارتها القصوى هي تقريباً ٣٢ درجة ومعدل يومي تتجاوز ٢٤ درجة مع قليلاً من الرطوبة، وفي الساعة الثامنة صباحاً يتراوح معدلها بين ٢٥ درجة في شهر مايس / أيار إلى ٣٩ درجة في شهري حزيران / يونيو وتموز / يوليو، وهذه الأشهر الستة الأخيرة هي شحيحة المطر تماماً.

إن الأسطر السابقة تلخص بإيجاز موقف التغيرات المناخية للمدينة، مثلما هو الاختلاف في مصادر المعلومات التي استطعنا الحصول عليها، والمستندة على ملاحظتنا الشخصية.

